أثر اللغة في جسم الانسان بحث في انثروبولوجيا الجسد

م.د. مؤيد فاهم محسن

جامعة القادسية / كلية الآداب

The Effect of the Language in the Human Physique A Research in Physical Anthropology

Lect. Mua'ayad Fahim Muhsin

College of Arts/ University of Al-Kadyssiya

Abstrct

Addresses've marked (the impact of language on the human body) a very important issue related to the human body, and is marred by physiological changes as a result influenced by the language through the study of this relationship theoretically analyzed for some of vocabulary, triggered physiological on the human body, and the statement of the language with some variables relationship, and thus the axis interest in the study have been focused on the role of culture in general, considering that the most important elements is the language, has been focusing on language, thinking, and how they can be by which these variables influencing factors on the human body on the grounds that these variables on a large degree of important not without a culture of any society which, whatever the nature. It also sheds light on the issue we see that he has not received enough attention and scientific study organized by social anthropologists and researchers in the field of humanities.

الملخص

يتناول هذا البحث الموسوم (اثر اللغة في جسم الانسان) قضية مهمة جدا تتعلق بجسم الانسان وما يعتريه من تغيرات فسيولوجية نتيجة تأثره باللغة من خلال دراسة هذه العلاقة نظرياً، من خلال تحليله لبعض المفردات اللغوية واثارها الفسيولوجية على جسم الانسان، وبيان علاقة اللغة ببعض المتغيرات، وبذلك فأن محور اهتمام الدراسة قد انصب على الأثر الذي تؤديه الثقافة بصورة عامة، بوصف اللغة احد اهم عنصر فيها، وقد تم التركيز على اللغة، والتفكير، والكيفية التي يمكن ان تكون بواسطتها هذه المتغيرات عوامل مؤثرة على جسم الانسان على اعتبار ان هذه المتغيرات على درجة كبيرة من الاهمية، ولا تخلو منها ثقافة أي مجتمع منها مهما كانت طبيعته. كما انها سلطت الضوء على موضوع نرى انه لم يحظ بالاهتمام الكافي والدراسة العلمية المنظمة من جانب الباحثين الاجتماعيين والانثروبولوجيين في مجال الدراسات الإنسانية.

المقدمة

يعد الجسد من اهم الموضوعات التي نالت اهتمام وعناية الباحثين والمفكرين في الأونة الأخيرة، فهو مرآة المجتمع الذي عدّه الباحثون الرمز الناقل لثقافة المجتمع الذي نشأ فيه، ومن خلال الوجود الجسدي وطرح الصور التي تكلم عمقه المسكوت عنه والقيم التي يحملها وتمييزه المتغيرات التي يمر بها ومكوناتها، وتعابيره، ورموزه كل هذه المجالات هي التي تعطيه معنى وقيمة، ومن هنا أصبح للجسد دلالة رمزية وثقافية وله معنى بكل أوضاعه الاجتماعية والثقافية المختلفة من خلال ممارساته، وطقوسه، ومرجعياته، وثقافاته التي تنشأ فيه، فهو البناء الرمزي ومنشأ العديد من التصورات التي تسعى لإعطائه معنى مخصوصاً، فهو نتيجة بناء اجتماعي وثقافي، لذا نشأت اللغة في مجرى حياة الانسان الاجتماعية البدائية على هيئة أصوات مبهمة يتداولها الناس في مجرى حياتهم اليومية اثناء صراعهم ضد الطبيعة العاتية من اجل البقاء وعندما توفرت لها جوانب فسلجية جسمية بدائية هي الأخرى تعد (مراكز مخية لغوية بدائية وجهاز نطق بدائي ايضا) اي ان اللغة من حيث هي ظاهرة اجتماعية (كلام متحدث به بدائي في أول الامر ثم مكتوب بعد ذلك)وعلى اساسه نشأت في مجرى نشاط الانسان الاجتماعي أثناء مغالبته الطبيعة بعد ان نضجت معها وبتأثيرها وتمهيدا لها امكانيات فسلجية خاصة تتعلق بالجهاز العصبي المركزي

وجهاز النطق، وقد ثبت أن الكلمات البدائية الأصوات المبهمة بمقاييسنا الحديثة التي استعملتها البشريات المنقرضة اعتبارا من انسان بكين الذي عاش قبل ما يقارب نصف مليون سنة وحتى انسان نياردتال الذي عاش قبل حوالي مئة الف سنة) كانت غير متميزة المقاطع وهي اقرب الى الأصوات الحيوانية منها الى كلام البشر المألوف في الوقت الحاضر وذلك لبدائية جهاز النطق بالدرجة الأولى، ثم اخذت تتسم بالوضوح والدقة تدريجيا مع تطور الانسان وتكامل نضج حنجرته وحباله الصوتية. وتكامل تطور مراكزه المخية اللغوية الى ان وصلت الى وضعها الراقي الحديث، وشأن اللغة من هذه الناحية شأن الكائن الحي تنشا وتتطور وفق ظروفها البيئية ووفق حاجات السكان المحليين الذين يستعملونها، ولهذا نجد مثلا غزارة مفردات اللغة وتعدد اسماء الحيوانات، والنباتات، والظواهر، والاشياء كلها تختلف باختلاف البيئات الطبيعية، والاجتماعية، فلدى الاسكيمو مثلا اكثر من (40) كلمة تصف الثلج بتعدد اشكاله ومواسمه. ذكر (ول ديورانت)ان " عند سكان استراليا الأصليين: ذيل الكلب له تسمية، وذيل البقرة له تسمية أخرى، ولا توجد كلمة تدل على ذيل بشكل عام. واهل تسمانيا: يطلقون على كل نوع من الشجر اسماً، وليس لديهم كلمة واحدة تدل على (الشجرة) بصفة عامة ولدى العرب ما يزيد عن ذلك في وصف السيف، أو الفرس، أو الجمل، وعند الشعوب المتخلفة في تطورها الاجتماعي مقدار ضئيل من الكلمات التي تعبر عن المجردات (المدركات العقلية concepts) وفي الكثير من اللغات المعاصرة يتعذر وجود اسماء لأجزاء السيارة مثلا، وللمصطلحات في الفيزياء النووية أو الرياضيات العالية، ومع ذلك فان باستطاعة هذه اللغات ان تواكب العلم، والمدنية الحديثة عند نشوء الحاجة اليها بارتفاع المستوى الثقافي للمجتمع الذي يستعملها، وعلى هذا الاساس فمن غير الجائز علميا تقسيم اللغات المعاصرة الى بدائية وراقية على اساس فقدان الأولى المصطلحات العلمية والحضارية، لان هذا الافتقار ناجم عن التخلف الثقافي للسكان وسيزول بزواله، فقد مر زمان كانت فيه اللغات الأوربية الكبرى الفرنسية والانكليزية، والألمانية، والروسية مثلا مفتقرة الى الكثير من المصطلحات العلمية والحضارية، وأن هذه اللغات تطورت بتطور ثقافة شعوبها فكذا الحال في اللغات الاخرى التي هي دونها في مستوى التطور الاجتماعي بفعل تخلف الناطقين بها حضاريا، اي ان التقدم العلمي والحضاري بالغ الاثر في التطور اللغوي من حيث وفرة المفردات العلمية والحضارية وكثرتها.

المبحث الأول: عناصر البحث الأساسية

إن لعناصر البحث أهمية كبرى في توجيه الدراسة وتوضيح خطواتها العلمية، لأنها الاطار الذي يبين ادوات البحث، ومساراته المنهجية.

1- موضـوع البحث:

إن موضوع هذا البحث جعل نطاق دائرته تبحث في علاقة اللغة وصلتها بجسم الانسان، من خلال دراسة هذه العلاقة ميدانياً اعتمادا على المنهج التحليلي، وذلك بتحليله لبعض المفردات اللغوية واثارها الفسيولوجية على الانسان، وبيان علاقة اللغة ببعض المتغيرات، وبذلك فأن محور اهتمام الدراسة يكون قد انصب على الدور الذي تؤديه الثقافة بصورة عامة، وبعض عناصرها كاللغة بخاصة، وقد تم التركيز على اللغة، والتفكير، والكيفية التي يمكن ان تكون بواسطتها هذه المتغيرات عوامل مؤثرة في جسم الانسان على اعتبار ان هذه المتغيرات على درجة كبيرة من الاهمية ولا تخلو ثقافة، أي مجتمع منها مهما كانت طبيعته.

ومما حدد اختيارنا لهذا الموضوع اعتبار الجسد نظاما من العلامات الدالة والمنتجة للمعاني واعتبار حركاته انتاجا ثقافيا انما تخضع لطبيعة الحضارة ونظام الثقافة، فهي تختلف من ثقافة الى أخرى، فللجسد لغة وهي سابقة عن لغة اللفظ، فكل استعمال للجسد هو تعبير، وان النشاط والسلوك الذاتي للجسد ينم عن إدراك عام لما يفرزه المحيط الخارجي من معانٍ نتبينها ونجلوها من مختلف التعابير الجسدية، فالفرد يخلق من خلال جسدانيته نسيجا دلاليا، فالجسد وعاء لمعان اجتماعية.

2 -أهمية البحث:

نستطيع ان نوجز اهمية البحث بالنقاط الآتية:

1- إنها سلطت الضوء على موضوع نرى انه لم يحظ بالاهتمام الكافي، والدراسة العلمية المنظمة من جانب الباحثين الاجتماعيين والانثروبولوجيين في مجال الدراسات الإنسانية.

2- انها لم تقتصر على دراسة الثقافة عموماً، بل درست عنصرا من بين عناصر الثقافة الاساسية، وبينت اهمية اللغة، وعلاقتها، وتأثيرها في جسم الانسان.

3- نستطيع القول ان هناك اهمية لا تقل عما تقدم ذكره، فعلى حد علم الباحث فالبحث لم تكن مسبوقاً بأي دراسة عراقية أو عربية، وهي دراسة تقوم على حقيقة واهمية تأثير اللغة على جسم الانسان، ولعل هذا الاسهام يسد النقص البيّن في مكتباتنا لهكذا موضوعات.

3- **اهداف البحث:**

لكل بحث هدف أو اهداف يسعى الباحث للوصول اليها، واهم اهدافها

أ- تسليط الضوء على ما هية، موضوع اللغة واهميته.

ب- معرفة التأثيرات البيولوجية للغة على جسم الانسان

2- معرفة علاقة التفكير باللغة، والتأثير المتبادل بينهما،

المبحث الثاني: مفاهيم البحث:

1. اللغة :Language

اللغة مشتقة من لغى، ولغات، وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)(20، عبد الله العلايلي، ، ص 447.(وذكر الفيومي أن(لغى، ولغات، ولغوت الكلام المصطلح عليه بين كل قوم)(4، احمد بن محمد بن علي المغربي الفيومي، 1921، ص 726 4)،

يقول (فندريس) ان اللغة هي فعل فسيولوجي في حين انها تدفع عدد من أعضاء الجسم الإنساني للعمل، وهي كذلك فعل نفساني من حيث انها تستلزم نشاطا راديا للفعل، وهي كذلك فعل اجتماعي من حيث انها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الانسان. فاللغة احد مقومات بناء المجتمع) 5، احمد بن نعمان، 1978م، ص 80-88.)

وتمَّ الاتّفاق على التَّعريف الاصطلاحي كتعريف شامل للُّغة: فهي عبارة عن نظام صوتي يَمتلِك سياقًا اجتِماعيًّا وثقافيًّا له دلالاتُه ورموزه، وهو قابل للنُّموّ والتطوّر، ويخضع في ذلك للظّروف التَّاريخيَّة والحضاريَّة التي يمر بها المجتمع.(12، محيي الدين عبد الحليم، 1994، ص 177.)

وعليه فاللغة أصوات أو كلام متعارف عليه بين كل قوم بهدف التعبير عن أغراضهم،

2. علم الفيزيولوجي (Physiolog) هو علم وظائف جسم الإنسان، ويتضمن الخلايا والأجهزة العضوية وجميع الوظائف الكيمائية، والفزيائية داخل جهازه الحيوي، (ولقد قام العالم الأغريقي أرسطو بوضع مبادئ علم فيزيولوجيا جسم الإنسان، فهو أول من قام بربط علم التركيب بعلم الوظيفة، وفي القرن العشرين ازداد الاهتمام كثيراً بعلم فيزيولوجيا جسم الإنسان، وتم فصله كفرع علمي مستقل بذاته يعتمد على وظيفة وتركيب الأجهزة الحيوية داخل جسم الإنسان من خلال عدة وسائل تشمل الموصلات الكهربائية وكذلك الكيميائية، ويؤدي الجهاز العصبي والغدد الصماء أثراً بالغاً في استقبال ونقل الإشارات المرسلة لدعم وتحفيز وظائف أعضاء جسم الكائن الحي، ولقد تم تطوير عدة أنواع مختلفة من العلم عن علم الفيزيولوجي مثل علم الكيماء الحيوية، وعلم الأدوية، وعلم الفيزياء الحيوية، وعلم الأحياء الخلوي.(24، محمود السعران 1963، ص 86)

3. الجسد: The Body:

أما الجسد ففي الفرنسية (le corps) منحدر من اللفظ اللاتيني corpus أي الجزء المادي للكائنات الحية، والجسم البشري مقابل للعقل والروح (esprit) ويعد كذلك أيضاً مركزاً للعواطف والاحساس(2 ابن منظور ابو الفضل. 1992، ص120)

الجسد اصطلاحاً:

يحدد الجسد جسم الانسان ولا يقال لغيره من الاجسام المغتذية ولا يقال لغير الانسان جسد من خلق الارض. فالجسد هو جماعة البدن وقيل هو العضو واللحم، اما الجسد (الجثة) شخص الانسان قاعداً أو قائماً، وقيل جثة الانسان شخصه متكئاً، أو مضطجعاً وفي مقام آخر يقال إن الجثة هي الجسد الذي لا يعقل ولا يميز أي الجسد الميت تقول منه (مجَسد) وقد يقال للملائكة والجن جسد غيره، وجمع الجسد أجساد ويُجَسد أي ثوب الجسد وصوت مجسد أي معظم مرخوم على نغمات (2ابن منظور ابو الفضل. 1992، ص 121)

ثانيا: أهمية اللغة للإنسان:

اللغة ظاهرة لا تخلو اي بيئة اجتماعية منها، فالمجتمعات الانسانية قديمها وحديثها لم تكن مستغنية عنها لكونها مرآه المجتمع، ووسيلة الاتصال ما بين افراده، والتعبير والتفاهم بين الناس. لذا احتلت اللغة منذ نشوئها وفي مجرى تطورها المكان الأول والاهم في حياة الانسان وفي علاقاته ببعض وبالطبيعة، واللغة في حقيقتها هي التي جعلت الانسان يتخطى حدود خبرته الشخصية المباشرة الناجمة عن احتكاكه المباشرة بالطبيعة، ويتخطى معها ايضا خبرة النوع الانساني البايولوجية التي يرثها عن اسلافه، ومكنته اللغة من تنسيق جهوده مع غيره وتوحيدها في مجرى مشترك جعل تداول الخبرة ممكنا بين الافراد والمجتمعات والاجيال، وقد احدث هذا تبدلا جذريا ونوعيا في تكوين الخبرة الفردية عند الانسان بشكل تخطى حدود ما هي عليه لدى الحيوانات الراقية: فليس في متناول الحيوان الراقي سوى مخزون انطباعاته الحسية عن الطبيعة التي يعيش فيها التي اكتسبها في مجرى حياته اليومية الفردية والتي يفنى بفنائه في حين ان الانسان مزود بخبرة الاجيال السابقة التي يكتسبها من خلال اللغة المنطوق بها والمدونه: اي ان اللغة اداة اجتماعية تنقل التراث الاجتماعي عبر المجتمعات والاجيال ومن شخص الى آخر بالحديث، أو الكتابة، وان الآثار الفكرية للأفراد والمجتمعات لا تفنى بفنائها.(6، احمد زكي بدوي، 1985، ص 276)

ويعد كارل يونغ وهو طبيب نفسي سويسري الجنسية من اشهر الذين بحثوا في الرمزية فقد أوضح في كتابة الانسان ورموزه ان الانسان في تواصله مع غيره من ابناء المجتمع يستعمل اللغة التي قد تأتي مجرد لفظه، أو رسماً، أو شكلاً ولكنه يتضمن معاني ودلالات تضاف إلى جانب معناه الصريح فماهية الرمز هي أن شيئاً ما يقف بديلاً عن شيء اخر أو يحل محله ليمثله بحيث تكون العلاقة بين الاثنين علاقة الملموس بالمجرد على اعتبار أن الرمز له وجود حقيقي مادي يحيل إلى فكرة أو معنى مجرد. (11، حافظ، الاسود، الانثروبولوجيا الرمزية، 2002، ص30.)

ولا شك في ان الكلمة (اية كلمة في اية لغة)تكون في العادة مشحونة بجوانب انفعالية (بالإضافة الى جانبها الفكري: معناها) مختلفة العمق بالنسبة لمن يتحدث بها أو يكتبها وبالنسبة ايضا للسامع والقاريء فكلمة (جمل، وصحراء، وسيف) ترتبط بالنسبة لابن الصحراء عموما مع اختلاف واضح بين القبائل وبين افراد كل منها بمشاعر سلبية أو ايجابية حسب اثرها السابق في مجرى حياته اليومية (فضلاً عن دلالاتها: كونها اسما لشيء مادي محسوس)وتجري هذا المجرى ايضا (ثلج، ونار، وبرد)بالنسبة للاسكيمو، ويتجلى تشبع الكلمات بالمشاعر في الشعر والادب عموما، ولهذا فان ترجمة التراث الادبي وبخاصة الشعر من لغة الى اخرى تقتصر في افضل الظروف على الجوانب الفكرية الضيقة، وتترك وراءها ثروة ضخمة من المشاعر لا تقوى على نقلها من لغتها الأصلية الى اللغة التي ترجمت لها، وتصبح ترجمة المعنى نفسه في حكم المستحيل في حالة الاستعمالات المجازية التي لا يقتصر غموضها على الترجمة من لغة الى أخرى، وانما يتضح ايضا لدى ابناء اللغة الواحدة من

ذلك، ومثال على ذلك: ما روته كتب الاخبار العربية من قصص طريفة في هذا الباب، منها مثلا: ان امرأة وقفت على قيس بن عبادة، فقالت:(اشكو اليك قلة الفار في بيتي (فقال وما احسن ما درت عن حاجتها) املأوا بيتها خبزا، وسمنا، ولحماً.(30، د.نوري جعفر مجلة افاق عربية 1975، ص42)

ثالثا: (الآثار البيولوجية للغة)

تعدّ الحياة الاجتماعية في أي مجتمع، نسيجاً متكاملاً من الأفكار، والنظم، والسلوكيات التي لا يجوز الفصل فيما بينها باعتبارها تشكّل التركيبة الثقافية في المجتمع، وإلى درجة تحدّد مستوى تطوّره الحضاري.

وإذا كان التأثير البيولوجي للإنسان في الثقافة معدوماً على المستوى الاجتماعي باستثناء بعض الحالات الفردية تبقى على حالها (الشاذة)، فإنّ تأثير العامل الثقافي على الوجود البيولوجي، هو تأثير فاعل ومحسوس ليس على مستوى الفرد فحسب، بل على مستوى المجتمع بوجه عام. ولذلك، فكما يتمّ اصطفاء النوع، يتمّ اصطفاء الثقافة على أساس تكيّفها مع البيئة، وبمقدار ما تساعد الثقافة أعضاءها في الحصول على ما يحتاجونه، وفي تجنّب ما هو خطر، فإنّها تساعدهم على البقاء. (8، رياض محمد، ص130(

وهذا يؤكّد أنّ النموذج العام لأيّ ثقافة، يأتي منسجماً مع الإطار الاجتماعي الذي أنتجها، ومن ثم يرسم السمات والمظاهر الاجتماعية لدى الأفراد الذين يتشرّبون هذه الثقافة، ويعملون ما بوسعهم للحفاظ على هذا النموذج الثقافي واستمراريته وتطويره.

إنّ الثقافة السائدة لدى شعب من الشعوب كثيراً ما تجبر الفرد – بما لها من قوّة جبرية وإلزام وسيطرة مستمدّة من العادات والقيم والتقاليد– على أعمال وممارسات قد تضرّ بالناحية الجسمية ضرراً كبيراً، فعلى سبيل المثال: كانت العادات لدى بعض الطبقات المرفهّة في الصين أن تثنى أصابع الطفلة الأنثى، وتطوى تحت القدم، وتلبس حذاء يساعد في إيقاف نموّ قدمها ويجعلها تمشي مشية خاصة، فعلى الرغم من التشوّه الذي يحصل للقدم، فقد كانت تلك المشية بالإضافة إلى صغر القدم من أهم دلائل الجمال، ولذلك، يعطي / ليفي شتراوس / أهميّة بالغة لِلُّغَةِ ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحيّة الأخرى، ولذلك، يعدها الظاهرة الثقافية الأساس التي يمكن من خلالها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤكّده في كتابه (المناطق المدارية الحزينة) والذي يعرف في العالم العربي باسم (الآفاق الحزينة)، وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب أنثروبولوجي، إذ يقول: ((حين نقول الإنسان.. فإنّنا نعني اللغة، وحين نقول اللغة... فإنّنا نقصد المجتمع..))(21، عيسى الشماس، 2004، ص 56)

وهذا ما دفعه إلى استخدام مناهج اللغويات الحديثة وأساليبها، في تحليله للمعلومات الثقافية، وكلّ مادة غير لغوية. كما جعله يعطي الكلمة (الدال) من الأهميّة أكثر ممّا يعطي للمعنى (المدلول)، ولا سيّما أنّ الدال الواحد (الكلمة الواحدة) قد يكون له مدلولان مختلفان بالنسبة لشخصين مختلفين، وذلك تبعاً لاختلاف تجاربهما. بل أنّ الدال الواحد، قد تكون له مدلولات مختلفة بالنسبة للشخص نفسه، وفي أوقات أو ظروف مختلفة. (3، احمد أبو زيد، 2001، ص 86)

تختلف اثار اللغة ثقافيا من مكان الى اخر ومن ثقافة الى اخرى بحسب عناصر تشكيل الثقافة لكل بلد اذ نلاحظ اختلاف اثر الكلمة ووقعها على الانسان بين الريف والحضر، وبين اختلاف الشرائح الاجتماعية، وبين الفئات العمرية المختلفة، في المجتمع العراقي اذ نرى اثر اللغة واضحا في الريف اكثر منه في الحضر وهو يؤثر تأثيرا واضحا على جسم الانسان لان الثقافة السائدة هناك تعطيه هذه الاهمية ويكون مدى الالتزام بالكلمة كبير جدا، وله قيمة اجتماعية وتعد من قيم الرجولة، واهم الخصائص التي يتميز بها الرجل في المجتمع، وكذلك نلاحظ اثر اللغة على جسم الانسان من الجانب العاطفي وما تثيره من انفعالات تحفز الغدد لافراز الهرمونات داخل الجسم التي يكون تأثيرها الجسماني واضحاً جداً وسريعاً، وهذا ما اكدته معظم

الدراسات الانسانية والطبية، ففي حالة الغناء نلاحظ ان جسم الانسان يتأثر بالكلمات والموسيقى فيحزن ويبكي تارة ونراه تارة أخرى نراه يفرح أي ان الكلمات هي التي تحفز الغدد المسؤولة عن افراز هذه الهرمونات في جسم الانسان. إضافة الى ان هناك سلوك لغوي مرتبط ارتباطا وثيقا بسلوك الانسان، فمثلا ما يصدر عن المصلين في الاستماع الى الاذان والى آيات مرتلة من القرآن الكريم والادعية، وما تصاحبه من انفعالات جسدية مثل الخشوع وإسراف الدمع والأغماء كلها تأثيرات ناتجة عن تفاعل اللغة مع أعضاء الجسم.

ان هذا السلوك الكلامي الذي يصاحب الصلاة يؤدى في نسق معين معروف من حركات الجسم من وقوف وركوع وسجود وظيفته في وجه من وجوهه وظيفة حركات الجسم ووظيفة الوضوء طقوس لا تتم الصلاة الا بها، وفي هذا الخصوص يقول (مالينو فسكي)((الكلام هو الوسيلة الضرورية للتشارك انه الآلة الفريدة التي لا غنى عنها لخلق روابط اللحظة هذه الروابط التي يستحيل بدونها قيام العمل الاجتماعي الموحد)). (24، محمود السعران، اللغة والمجتمع، ، 1958، ص89). ونلاحظ كذلك تأثر الجسم باللغة من خلال القشعريرة (التي يعبر عنها بـ كزبرة الجسم) عند سماع كلام فيه خوف أو فزع، أوخشوع، أو نوبة برد وغير ذلك.

والقشعريرة من الخوف تحدث بعيداً عند درجة الحرارة الباردة أو المرتفعة، فالخوف مسبب آخر للقشعريرة وهي عبارة عن صدمة تحدث في الخلايا العصبية إذ يبدأ القلب بضخ كميات هائلة من الدم ويفقد الدم حرارته مما تسبب انخفاض حرارة الجلد، والشعور بالرجفة، وتتوقف هذه الحالة بتوقف المسبب للخوف. (15، فروم– اريك، اللغة المنسية، بيروت، 1995، ص43.)

اما قشعريرة الخشوع، فذكر الله تعالى أحد اشتقاقاتها في القرآن الكريم في قوله تعالى (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)، (سورة الزمر، الآية 23) وصف الله تعالى المؤمنين الذي يخافون الله تعالى ويخافون عذابه بأن جلودهم تقشعر من الخشوع، والقنوط طمعاً في رحمته تعالى فعندما يسمعون كلام الله تقشعر جلودهم وتتصلب العضلات وهذا ما ينتج القشعريرة. هناك الكثير من المواقف تسبب القشعريرة مثل رؤية الموتى والأجسام الدامية والمواقف الحزينة والمواقف المشمئزة التي تسبب الانكماش للبدن.

وثبت ان للكلمات أثرا فسلجياً عميقا في حياة الانسان الانفعالية من الناحيتين السلبية والايجابية وان باستطاعة الكلمة المتحدث بها أو المكتوبة ان تستثير لدى الشخص استجابات على نسق ما تستثيره مسمياتها، فعندما تسمع مثلاً كلمة ليمون فإنها تستثير اللعاب كما يستثيره الليمون الحامض نفسه، وتشبه هذه الكلمة في الاستثارة وقشعريرة الجسد كلمة طرشي، اي ان الكلمة تستطيع ان تحل وظيفيا محل مسماها. وقد استطاع كثير من الجراحين عن طريق استعمال الكلمات الرقيقة ان يجروا عمليات جراحية بسيطة من دون الاستعانة بالتخدير، ومن دون ان يشعر المريض بالألم، وهذا هو اساس (العلاج السايكولوجي) عن طريق (الايحاء اللفظي)وللإيحاء اللفظي هذا آثار علاجية كثيرة مألوفة في الحياة اليومية تتضح كثيرا في المجتمعات النامية كـ(التمائم، والادعية) فهي عبارة عن كلمات من الكتب السماوية وحديث الأنبياء والأوصياء، وكذلك العلاج الروحي هو مجرد كلمات من القرآن الكريم تلقى على المريض، فتؤدي الى تفاعل جسمه معها، وله ايضا آثار سلبية مهمة في حقل التعليم مثل(استعمال الكلمات الجارحة): تأنيب الطالب المقصر. وإيجابية (كلمات تشجيع) ولهذا فأننا نرى ان المدرسين والآباء والامهات حين يؤنبون بشكل جارح الابناء فذلك سيؤدي الى مضاعفات سلبية، فقد ثبت ان الكلمات القاسية أو الجارحة تؤذي المخ لدى كثير من الطلاب لا سيما ذوي نمط الجهاز العصبي المركزي الضعيف والنمط القوي غير المتزن.(19، بافلوف، بغداد، 1971، ص 154) وتزداد حدة هذا الايذاء في أوقات الامتحانات بصورة خاصة، واثناء استدعاء صغار التلاميذ الى السبورة أو توجيه اسئلة محرجة في الصف، وفي جميع الحالات الاخرى التي يتعرض فيها المخ للإرهاق، وكثيرا ما يؤدي التأنيب أو الازدراء الى أصابة الاطفال بالاضطرابات العصبية فضلاً عن فقدانهم الثقة بالنفس، وعدم بذل الجهد الفكري المطلوب ونشوء مشاعر المقت والحقد، ولهذا فان التشجيع بالكلمات الرقيقة افضل اداة للتعليم، وللتعامل بين الناس، وقد ثبتت

قيمته حتى في تدريب الحيوانات فما بالك بتعليم الانسان نفسه فقد ذكر مدرب الحيوانات السوفيتي المشهور (ايدر) في مذكراته التي ترجمت الى اللغة الانكليزية بعنوان (أصدقائي الحيوانات) قصصا طريفة في هذا الباب كلها تدل على ان الرفق والمعاملة الحسنة وكليمات التشجيع في حالة الانسان بالغة الآثار الايجابية في التعليم، وان يستعينوا بالكلمات الرقيقة في تربية الاطفال، لأنها تبعث الثقة بالنفس وكذلك التفاؤل.31)، Eder، (.B. My Animel Friends 1986, pp,221

قال الشاعر: جراحات اللسنات لها التآم --- ولا يلتام ما جرح اللسان

رابعا: تطور اللغة

لا نغالي اذا ما قلنا ان موضوع اللغة بوصفها مفهوماً وظاهرةً اجتماعية من السعة والشمول والاهمية، يصعب معها الاحاطة بها أو تغطية جميع جوانبها، فقد ارتبطت اللغة ارتباطا وثيقا بالإنسان، لأنه الكائن الوحيد الذي يمتاز بخاصية النطق والبيان، والتعامل بالرموز اللغوية، والاتصال اللغوي، وعلى اختلاف الامم والشعوب نجد ان اللغات هي ما بين خمسة الاف الى عشرة الاف لغة يتحدث بها اكثر من مائة واربعين دولة تعكس كل منها نظرة فريدة للعالم ونمطا للفكر والثقافة.(14، محمد سليمان الحداد، 1987، ص407)

وكما هي الحياة الانسانية في تطور وتقدم مستمر، وكذلك الحال بالنسبة للغة، فقد تطورت على مر تاريخها الطويل بواسطة الانسان الذي استطاع ان يطورها من مجرد صراخ يعبر به عن انفعالاته الى الفاظ تحمل بين طياتها معاني مدركة من قبل الاخرين، ولقد استطاعت عوامل النهضة والتقدم ان تؤثر في اللغة فأضافت اليها –الحياة ذات الطابع المتجدد، وكذلك اظهرت معاني جديدة لألفاظ قديمة، ولكن مع كل هذا وذاك فان المشتغلين باللغة افرادا وجماعات عمدوا، ويعمدون الى ضبط هذا التحول والتوسع وتنظيمه وذلك بغية المحافظة على أصالة اللغة واستمراريتها (7، اشواق عبد الحسن عبد، 2009، ص 130)، ومثلما تتطور اللغة بدرجات متفاوتة، وتنتشر اللغات الانسانية بدرجات مختلفة ومتفاوتة، فهناك من اللغات ما يتاح لها فرص الانتشار في مناطق كثيرة من العالم كما هو الحال بالنسبة للغة اللاتينية في العصور القديمة والوسطى، وكذلك اللغة العربية، أو اللغات الانجليزية، والفرنسية، والاسبانية في العصور الحديثة في حين ان هناك لغات ظلت حبيسة بقعة ضيقة من الارض وفئة صغيرة من الناس، كما هوالحال بالنسبة للغة الفارسية، والحبشية.29)، نوري جعفر، اللغة والفكر، الرباط، 1971، ص 151)

ويذكر لنا الاستاذ محي الدين عبد الحليم جملة من العوامل التي تؤثر في اللغة وتطورها وارتقائها وانتشارها، وهي:

1 – انتقال اللغة من السلف الى الخلف.

2 – تأثر اللغة باللغات الاخرى.

3 – عوامل اجتماعية ونفسية وجغرافية، مثل حضارة الامة، ونظمها، وعاداتها، وتقاليدها وعقائدها، وثقافتها، واتجاهاتها الفكرية ومناحي وجدانها، ونزوعها، وبيئتها الجغرافية ...

4 – عوامل ادبية، وتتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع، وما اليها من سبيل حمايتها والارتقاء بها.

5– قاء بها والحفاظ على كيانها وأصولها(27، محيي الدين عبد الحميد، 1994 ص174)

وفي حدود تطور اللغة، يقول اللغوي الفرنسي أورسين مستيشر ان اللغة كانت وفي اي فترة من وجودها في تطور دائم ومستمر ينازعها في ذلك التطور عاملان متناقضان تجاهد اللغة في الاحتفاظ بتوازنها بينهما، وبتمام ذلك يكتب لها طول العمر بين الناطقين بها والعاملان هما، عامل المحافظة من ناحية، والتطو من ناحية اخرى)(13، حسن ظاظا، 1971، ص 98.).

فاللغة ظاهرة اجتماعية تنمو وتنشط في البيئة الاجتماعية، تسهم في الاتصال والتفاهم بين الناس، وتحقق أغراضهم الاجتماعية، وهي ترتبط بالمجتمع الانساني من خلال الاسرة التي هي الوحدة الاساسية للمجتمع سواء كان هذا المجتمع مجتمعا

متقدما ام بدائيا، وقد دلت العديد من التجارب العلمية على ان النمو اللغوي لدى الطفل يتوقف – عادة – على ما تتسم به حياة الاسرة التي هو عضو فيها من نشاطات، وفعاليات، وقيم، واخلاقيات وفي هذا ويؤكد هذا المعنى الدكتور إبراهيم انيس بقوله: ((النشأة السليمة والتربية الطيبة تساهم في نمو لغة الطفل، اكثر مما يمكن ان يساهم به التعليم المنظم في المدارس))(1، ابراهيم انيس، مصر، 1970، ص 130)،

تزويد الطفل بمفردات اللغة التي من شأنها ان تعينه على اداء ادواره الاجتماعية، وقد تحدث العالم (لويس M.M.Lewis) في كتابه اللغة في المجتمع (ان اللغة وسيلة لصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية، وانه كلما ازداد الفرد توغلا في عضويته للمجتمع، زاد دور اللغة لا في حياته الاجتماعية فسحب بل في سلوكه، واحساسه، وتفكيره ايضا (29، نوري جعفر، الرباط، 1971، ص 151). ويرى الدكتور نوري جعفر ان اللغة قد (نشأت وتطورت تاريخيا جنبا الى جنب مع نشوء ظروف العيش الاجتماعية، وتطورها، وعملت بدورها على تحسين حياة الانسان المعاشية وجهزته بوسيلة جديدة للاتصال بالبيئة (الطبيعة، والاجتماعية) وتسخيرها لمصلحته29)(، نوري جعفر، 1971، ص 131). وهذا يعني ان اللغة من اهم مميزات المجتمع الانساني التي ينفرد بها عن سواه من الكائنات، فكانت سببا من اسباب رقيه، وتطور سيطرته على البيئة الطبيعية، والإنسانية، واستمرار البيئة الاجتماعية.

فاللغة هي التي تمكن الانسان من الشعور بذاته، والاتصال بأمثاله، وتجعل أمر تكوين الجماعات سهلاً، وتمكنه من قضاء حاجاته في المجتمع، وهي بذلك تساهم في تهيئة الوضع المناسب لتكوين الحياة الاجتماعية وهذه في الحقيقة التي يعمل بها التفكير الإيجابي أو العلاج بالتنويم وبدون أجهزة أو أدوات، ويمكن للمعالج باستخدام طريقة التنويم أن يساعد المريض في السيطرة علي نوبات الربو، ويساعد في تعجيل الشفاء بعد العمليات الجراحية أو الحوادث، أو يقلل من الأعراض المصاحبة لحمى القش، ويخفف من التوتر العصبي، وغير ذلك كثير، وذلك بأن يساعده علي الاسترخاء، من الواضح تماماً أننا نستطيع السيطرة إلي حد كبير علي ما يسمى وظائف الجسم اللاإرادية وبدرجة أكبر مما كنا نعتقد في الماضي، ويمكن أن يعد العقل آلية التحكم التي تمكننا من تحقيق ذلك.

ومعظم الناس لديهم خبرات شخصية تؤكد قدرة العقل علي التأثير في الجسم، فقد تضطر في يوم ما إلى إجراء عرض تقديمي أمام زملائك، ولكن مجرد التفكير في هذا الموقف يجعلك تشعر بالغثيان، وعندما تكون خائفا من الذهاب لطبيب الأسنان، فقد تنام في الليلة السابقة نوماً متقطعاً بسبب ما تحس به من توتر لأن التفكير في حدث سيقع في المستقبل قد يؤدى إلى إثارة رد فعل جسماني مثل التعرق والارتجاف، والخوف، والقلق، واحيانا التبول اللاإرادي، على الرغم من أن هذا الحدث لم يقع بعد، وكل هذه آثار جسمانية ظاهرة نتيجة التفكير.

خامساً: العلاقة بين اللغة والتفيكر:

يقول ميشال فوكو في كتابه (الكلمات والأشياء): ((كانت اللغة في شكلها البدائي وعندما وهبها الله نفسه للبشر كانت تشير إلى الأشياء إشارة مطلقة، وأكيدة، وشفافة، لأنها كانت على شاكلة هذه الأشياء)). ويبدو أن هذه الشفافية التي يتكلم عليها فوكو في العلاقة بين الشيء وإسمه إنما فقدت عندما أنزل الله جام غضبه على أهل بابل، وشتتهم فرقا وشيعا. (28، ميشال فاكو: ترجمة: جورج ابي صالح، 1990، ص89)

ان العلاقة الثقافية تتمثل بالمظهر اللغوي والرمزي، وهذه العلاقة التي اهتم بها كبار الانثروبولوجيين الثقافيين ومنهم: (كا فرانز بواز، وسابير، وليفي شترأوس، ومارغريت ميد، وروث بنيدكت) اثناء دراستهم الميدانية نجد بان ثقافات الشعوب تعتمد في افكارها الاجتماعية والتكنولوجية على عملية الرمز خأصة من خلال التعبير اللغوي فيما اكدت نظريات (فرانزبواز)على الأهمية النظرية للدراسة اللغوية بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الدراسة المتعمقة السايكولوجية للشعوب في هذا العالم، لأننا لا نستطيع فهم الاثنولوجيا بوصفه علماً يدرس الظواهر العقلية ما لم نعترف بان اللغة مظهر هام من مظاهر الحياة العقلية (17،

إبراهيم فتحية واخرون، 1992، ص166)، كذلك فاللغة عند شترأوس تنشأ في العقل البشري اللأواعي، وكذلك السمات البنائية للتنظيم الاجتماعي تعكس حتماً تلك الخاصة باللغة (18، فيليب جونز: 2010 ، ص 113) ولذلك فان التفكير الإنساني يهيكل عالم اللغة والسلوك بالفكرة نفسها، إما الكلام الرمزي كما عرفه اريك فروم، فهو كلام يكون العالم الخارجي من خلاله رمزاً للعالم الداخلي رمزاً للنفس والذهن.(15، فروم– أريك، 1995، ص22)

ووفقاً للفلسفة البراجماتية فأن من العسير فصل العقل عن الجسد أو ما يمكن وصفه بأنه عقل يظهر في افعال الجسد في السلوك والحواس، لذلك ترفض البرجماتية التفرقة بين العقل والجسد، لأنها تشوه وحدة الانسان وترى بوجوب عدم التفرقة بين العقل والجسد والبيئة، لأنها تمثل تكامل النشاط الإنساني، فالإنسان في الفلسفة البرجماتية كل متكامل لا تنفصل قواه العقلية عن الجسدية وان المصدر الاساس للمعرفة عند الفرد ناتج عن نشاطه الذاتي وخبراته، فالطفل الذي يمد يده إلى النار فتحرقه يكتسب خبره فلا يمد يده على نفس المصدر المؤلم مرة ثانية (23، محمد خضر عوض، 2010، ص18) لأنه بهذه الحالة قد اكتسب فكرة نظرية مجردة اثرت على حواسه من خلال التجربة المباشرة التي عاشها مع النار، أما فكرة الجسد بحسب نيتشه، فهو تلك الة الاداة العظمى للتفكير (ocorps machine) ولايمكن الحديث عن الفكر خارج الجسد وهو مجموعة الآلات مؤتلفة للعقل ومظاهر متعددة لمعنى واحد فهو ساحة حرب وميدان سلام، يتكون الجسد اذن بحسب نيتشه من مجموع قوى تتألف مع بعضها لتشكل ارادة وقوة (16، نيتشه، فردريك، لبنان، ص52)، وقدم ميرلوبونتي، توضيحاً للجسد على انه كائن في العالم كالقلب في الجهاز العضوي (نحن فكر متجسد ولسنا فكراً، أو جسداً) بمعنى أن جسدي ليس مجرد موضوع قائم بذاته أو مجرد شيء مستقل عني وقد جعل الجسد من جهة ناظراً ومن جهة اخرى منظور اليه وبحسب

ما طرحه من خلاصات حول تصوره الفينوفيولوجي فهناك جسد للروح وروح للجسد وان غير قابل للوصف يفترض (بونتي) أن هناك وحدة انطولوجية تجمع بين الذات وموضوعها لأنها: من نفس النسيج ويجب ان تتم رؤيته على نحو ما في الاشياء، أو ان تزدوج فيه قابليتها الظاهرة للرؤية بقابلية خفية للرؤية (27، بونتي، موريس، العين والعقل، ص19) فالموجودات جميعها تشترك بما فيها الانسان مع بعضها في الوجود والتواصل الوجودي وان طبيعة التواصل من نسيج انطولوجي واحد.

ولا يمكن ان تكون عمليات التفكير التي تتم في رؤوس الناس مجالا لمراقبة موضوعية، لذا فان التفكير يدرس قبل كل شيء من خلال اللغة، وبشكل ادق من خلال توظيفه في الكلام. ويرجع السبب في ذلك الى ان اللغة والتفكير يكونان وحدة لا انفصام فيها: فاللغة تعتبر ظاهرة مستقلة على الرغم من التأثير الرئيس للتفكير فيها، وتقوم اللغة في الوقت نفسه بتأثير معاكس في التفكير، ويعني ذلك انه لا يمكن ان توجد اللغة من دون التفكير، وان التفكير غير ممكن من دون اللغة، وقد نشا كل من اللغة والتفكير في وقت واحد ولا توجد أفكار عارية من دون غلاف لغوي. (9، زينب محمد صالح، 2013، ص 154)

ويقول ادورد سابير ان اللغة هي وسيلة صنعها الانسان، وهي غير غريزية هدفها توصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق الرمز، وهي ظاهرة إنسانية بحتة، بمعنى ان لها طبيعة مختلفة اشد الاختلاف عن طبيعة الأصوات التي تصدر عن بقية الحيوانات.

اللغة تؤدي ثلاثة أغراض: فهي وسيلة للتواصل ووسيلة للتفكير ووسيلة للتسجيل.

نتائج البحث:

1- أظهرت نتائج البحث بان للغة تأثيرا كبيرا جدا على جسم الانسان من الناحية الانفعالية والعاطفية
2- أظهرت نتائج البحث ان اللغة متطورة وهي مختلفة من مكان الى اخر لنفس المجتمع الواحد.
3- أظهرت نتائج البحث بان هناك علاقة قوية بين اللغة والفكر وهي علاقة مصيرية
4- أظهرت نتائج البحث بان تأثير اللغة على الانسان مختلفة تبعاً للثقافة فتختلف بين المجتمع الريفي والحضري
5- أظهرت نتائج البحث بان هناك علاقة بين اللغة وسلوكيات الافراد

6- أظهرت نتائج البحث بان هناك علاقة بين التحصيل العلمي للأفراد وتأثير اللغة

7- أظهرت نتائج البحث بان اللغة تساعد في معالجة بعض الحالات المرضية.

8- أظهرت نتائج البحث بان اللغة تساعد في معالجة الامراض النفسية الطب الروحاني.

المصادر:

- القرآن الكريم
1- ابراهيم انيس، اللغة القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، 1970.
2- ابن منظور ابو الفضل. جمال الدين، لسان العرب بيروت، ج3، ط2، 1992،
3- احمد ابو زيد، ، الرمز والاسطورة والبناء الاجتماعي، حول مشكلة تعريف الرمز، عالم الفكر، 1985 مج16، ع13،
4- احمد بن محمد بن علي المغربي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط 4، المطبعة الاميرية، لقاهرة، 1921،
5- احمد بن نعمان، الانسان واللغة والفكر، مجلة الثقافة الجزائرية، ديسمبر- يناير، 1978م،
6- احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات الاعلام، مطبعة نهضة القاهرة، 1985،
7- اشواق عبد الحسن عبد الساعدي، الثقافة والتنمية البشرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، قسم علم الاجتماع.
8- رياض محمد، الإنسان – دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، القاهرة(1974
9- زينب محمد صالح، انثروبولوجيا الجسد، أطروحة دكتوراه منشوره، كلية الآداب جامعة بغداد، قسم علم الاجتماع، 2013م
10- دافيد لويرتون، انتروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد صأصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1997.
11- حافظ الاسود، ، الانثروبولوجيا الرمزية، دار المعارف الاسكندرية، 2002.
12- حسن ظاظا، اللسان والانسان، مطبعة المصري، الاسكندرية، 1971،
13- شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثربولوجيا، ط1، مطبعة جامعة الكويت، الكويت، 1981،
14- فروم- اريك، اللغة المسنية، ترجمة حسين قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995،
15- فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت ترجمة فليكس فايس، دار القلم، بيروت، لبنان (ب ت).
16- فتحيةٌ محمد ابراهيمٌ وآخرون: مدخل لدراسة الأنثروبولوجيا المعرفية ، الرياض دار المر يخٌ 1992،
17- فيليب جونز: النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية ترجمة، د. محمد ياسر الخواجة ،)القاهرة مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010 ،
18- طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف، مطبعة الزهراء، بغداد، 1971، الفصل الرابع.
19- عبد الله العلايلي، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، بدون سنة،
20- عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
21- محمد احمد العزب، اللغة والادب والنقد، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، بدون سنة،
22- محمد خضر عوض، دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتيه في ضوء المعايير الاسلامية، رسالة ماجستير، جامعة غزة، 2010،

23- محمد سليمان الحداد، محمود يوسف النجار، الانثروبولوجيا مقدمة في علم الانسان، المطبعة الدولية للنشر، الكويت، 1987م.

24- محمود السعران، اللغة والمجتمع راي ومنهج، ط2، الإسكندرية، 1963م.

25- محيي الدين عبد الحميد، اللغة والاتصال عبر التاريخ الانساني، مجلة التربية، العدد العاشر بعد المائة، السنة 23 سبتمبر 1994

26- مصطفى محسن، حول الابعاد السوسيوا نثربولوجيه للمسألة اللغوية واشكالية التنمية، مجلة المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 214، 1996،

27- موريس بونتي، ، العين والعقل، ترجمة، حبيب الشاروني، منشأة المعارف، الاسكندرية، (ب ت)

28- ميشال فاكو :ترجمة: جورج ابي صالح، الكلمات والاشياء مركز الانماء القومي للنشر، لبنان المنارة، 1990،

29- – نوري جعفر، اللغة والفكر، نشر وتوزيع مكتبة التومي، الرباط، 1971،

30- نوري جعفر، اللغة ومنزلتها في حياة الانسان، مجلة افاق عربية، العدد(4) كانون الأول، العراق، بغداد، 1975م

31- Eder, B. My Animel Friends , Moscow, Foreign Lanquages publishing House,no date.